المنظومة التجريدية في المدينة الإسلامية

به ناز نصرالدين محي الدين (مدرس مساعد) جامعة السليمانية / قسم الهندسة المعمارية
خالد جمال اسماعيل (مدرس مساعد) جامعة الموصل/قسم الهندسة المعمارية

المستخلص

يهدف البحث إلى تحديد ستراتيجية التجريد في الأشكال والمنظومات المعمارية بالمدينة الإسلامية للوصول إلى الأهداف المرتبطة بالمعاني التوحيدية. تم تحديد فرضية البحث المتمثلة بأن المفردات التجريدية تحقق وحدة النمط المعماري الإسلامي على الرغم من وجود التنوعات الطرازية فيه ، كما أن تحقيق التوحد في المعاني المجسدة ومفرداتها الأخرى يأتي نتيجة للتغير في طبيعة مفردات التجريد بوساطة سلسلة العمليات التجريدية ، من خلال الانتقال من مستوى الجزء إلى الأجزاء ثم الكل. بينما يتمثل مشكلة البحث في افتقار المعرفة فيما يخص ستراتيجيات التجريد في الأشكال والمنظومات المعمارية بالمدينة الإسلامية.

يأتي عرض النتائج والمناقشة بعدة محاور تهدف إلى مناقشة المعالجات التجريدية الإسلامية من خلال متابعة التغير في طبيعة المفردات المنتخبة في كل مستوى من المستويات العامة للعمل التجريدي. أما الاستنتاجات فتوضح أثر المعالجات التجريدية الإسلامية في تغير طبيعة المفردات المنتخبة وتركز بذلك على جوانب الارتباط بين المعالجات التجريدية الإسلامية ومدلولاتها الرمزية.

The Abstraction System in Islamic City

Abstract

The research drives at determining the abstract dimension in the architecture forms of Islamic architecture in particular and in Islamic architecture in general, with the aim of reaching out to the unitary objective implied by them. The research hypothesis is that the architectural entities in Islam attempt at fulfilling a uniform architectural pattern regardless of the diversity of representations. Meanings are being embodied in various parts of the architectural whole work. While the research problem represented in the shortage of knowledge about abstraction strategies in architectural system and forms in Islamic city.

Generally, Islamic architecture is an expression of the spiritual aspects of Islamic life and as such it has its own symbolic value. Following up this hypothesis, we come to the concision that every level of abstraction in Islamic architecture is a reflection and embodiment of a symbolic aspect related to Islam. Thus providing a proof for the validity of our hypothesis.

1. مقدمة

تعد النتاجات المعمارية بشكل عام لغة تستطيع أن تتكلم عن نفسها لتبين خصوصيتها بين اللغات (النتاجات المعمارية) الأخرى. وتتكون هذه اللغة نتيجة محصلتين رئيستين هما: الشكل المعماري الفيزيائي (الدال) (Architecture physical form) والمدلولات الرمزية (Significance) المنبعثة من تلك الإشارات الفيزيائية ، لتشكل بذلك المعنى المطلوب. إذ يسمي سوسير العلاقة البنيوية بين الدال والمدلول بالتجريد ، لما له من القدرة على نقل الفكر والمعنى[1]. ويرتبط منشأ الشكل الفيزيائي (الدال) بعوامل موضوعية يمكن قياسها ، وربما تتشابه دراساتها في شتى أنحاء العالم ، في حين أن الجانب الثاني وهو الجانب الرمزي (المدلول) يرتبط بعوامل ذاتية تتبع خصوصية مجتمع معين محدد بزمان ومكان دون غيره ، ومن ثم فإن الجانب الرمزي هو الذي يعطي النتاج الفيزيائي خصوصية في اللغة المعمارية[1].

ولما كانت العمارة الإسلامية واحدة من تلك التوجهات المعمارية المتنوعة عبر الحقب الزمنية والأمكنة المختلفة ، كان الجانب الرمزي فيها يحمل مدلولاته من منابع فكرية عقائدية ، مما جعلها تحمل خصوصية واضحة ومكانة لا يمكن إنكار موقعها بين المواقع المعمارية الأخرى ، فإنه لابد من وجود وعاء معين يتمثل بالأشكال المعمارية الإسلامية التي تمثل (الدال) يمكّنه من حمل تلك المدلولات الرمزية واحتوائها لتشكل المعنى أو اللغة المعمارية ، ذلك الوعاء هو التجريد (Abstraction) الذي يمكّن تلك الأشكال الفيزيائية من تحقيق الأهداف المختصة بالجوانب الفكرية الإسلامية عن طريق قدرة المفهوم على بناء الجسر الرباط بين الماديات المرئية (الدال) وبين الرموز الروحية لها (المدلولات).

" Abstraction is architecture as ideas ,as concepts, as themes is concerned with the autonomy of the architectural language "[5]

إلا أن الكثير من الدراسات المقدمة عبر النقد الغربي تناولت العمارة الإسلامية من خلال أطر مجزأة ومنفصلة إذ

تأخذ تلك الدراسات الشكل (الدال) بمعزل عن المدلول (الرمزي) له ، كما في دراسات معظم المستشرقين من أمثال كريزويل Creswell ولويس ماسينون Louis Massignon. وقد برزت دراسات أخرى تتناول الأشكال الإسلامية المجردة على مستوى الأنماط المعمارية (مخططات كلية أو أجزاء منها) لترجع بأسسها الشكلية إلى أسباب علمية بحتة كالعوامل المناخية أو الوظيفية ، وبذلك عدّت الجوانب الرمزية عوامل ثانوية ليست ذات تأثير مباشر على تصميم الشكل ذاته.

كما أشارت فئة أخرى من الناقدين إلى أن التجريد يقتصر على القشرة الخارجية أو الداخلية للنتاجات المعمارية الإسلامية ، أو أنها عمارة الاهتمام بالقشرة ذات البعدين فحسب بسبب عجز المعماريين المسلمين عن القيام بأعمال النحت والتجسيم (Sculpture) التي ازدهرت في عمارات أخرى كعمارة الرومان وعصر النهضة وغيرها.

وأُرجعت الدلالات الرمزية لتلك المجردات المسطحة (Relief abstracted) إلى أصول فكرية تشابه المواقف الفكرية الغربية فلسفةً تجاه الإنسان والطبيعة والكون من دون إعطاء خصوصية للموقف الفكري الإسلامي تجاه تلك العناصر. وهنا تفقد العمارة الإسلامية هيكلها الفيزيائي الموحد الذي ينقاد نحو معانٍ رمزية مستنبطة من خصوصية الفكر الإسلامي القائم على مبدأ التوحيد.

ومن هنا تبرز أهمية البحث في محاولة الكشف عن خصوصية تلك الوحدة الفيزيائية المعقدة بما تحويه من أجزاء رئيسة مكوّنة لها ، مما لها من دور واضح في بث المدلولات الروحية التوحيدية وعكسها عن طريق آلية التجريد التي أخذت على عاتقها تحقيق تلك الأهداف المطلوبة لتتكون بذلك اللغة المعمارية الإسلامية.

1.1. التجريد في المدينة الاسلامية

يمثل مفهوم التجريد في المدينة الأسلامية السمة العامة لهذه المدينة وليس أحد مذاهبها ، فهو ينبع من التصور الإسلامي للوجود الذي يحتكم إلى مطلق قيمي أوحد هو الله عز وجل الذي هو مبدع هذا الكون ، والذي بيده صيرورته والمنزه عن التخيل أو التمثيل[2].

فالتجريد في المدينة الأسلامية ينبثق من عقيدة الإسلام ذاتها ومن التصور الإسلامي للوجود فهو سمة ثابتة في هذه العمارة تجسد فلسفة الإسلام وعقيدته وليس مجرد تجل من تجلياتها. فالأشكال المعمارية والفنية الظاهرة في المدينة الأسلامية تنطوي على معان خفية تتستر وراء الشكل[2].

والمدينة الأسلامية تؤمن بأنه ليس ثمة عجز في الطبيعة يكمله المخطط أو المعمار ، وليست الطبيعة إلاّ واحدة من آيات قدرة الله التي تنبثق في كل لحظة عن ملايين الصور فهو لا يواجهها بالجمود أو يواجهها بالأعجاب بها وإنما بالأعتراف بقدرة الله القادر فليست الطبيعة معبود كما هي في الفن الغربي وليس المعماري بقادر على أن يضع ما يضاهيها وليس في تصور المسلم فعل نمائي تقوم به الطبيعة في ذاتها ولذاتها إذ ليست الطبيعة بكل أشكالها سوى صور من خلق الله وقدرته الفذة المعجزة.

فهناك خلاف بين مدينة يطبعها إيمان بالله ومدينة يطبعها تحد للطبيعة. والمخطط المسلم يحذر أن تخطر له يوماً خاطرة أنه في معطياته التخطيطية أو المعمارية إنما ينافس خلق الله أو أن يسعى جاهداً لإكمال النقائص التي لم تسطع الآلهة إتمامها ، كما توهم الغربيين وكأنهم بهذا يحملون حساً وتصوراً طفوليين يعود بنا إلى عصور البشرية الأولى. ومن هنا فإن مفهوم المدينة في الأسلام محرر من كثير من هذه القيم التي تقوم عليها المدن الغربية والتي تتعارض أساساً مع الأيمان بالله الواحد[3].

فالعقيدة الإسلامية لم تأمر الناس باتخاذ صيغة حضرية أومعمارية او فنية محددة كما الحال في العقائد الأخرى والإيديولوجيات الاخرى ، بل أوقف الإسلام المدينة أو العمارة أو الفن المنحرف عقائدياً وسلوكياً ووضع الفن في دائرة الاختيار فكان تحرراً للفن وتحرراً للفنان ذلك الإنسان المختار الذي وضع في مكان الاختيار ودائرة (لا تفعل) أوسع من دائرة (أفعل). لذلك تحررت المساجد من الصور والتماثيل إلا أنها كثيرة الزخرفة ، وأصبح للعمارة كيانها الخاص. وكذلك تحررت العمارة بابتعادها عن التجسيم واتجاهها نحو التجريد وانطلقت نحو المطلق واللانهائي[4].

2. الدراسة الميدانية

تستوجب الدراسة الميدانية إنتخاب مفردات التجريد التي ترتبط بجميع العمارات بضمنها العمارة الإسلامية ، ويمكن إجمال هذه المفردات[6-7] بما يلي:

1. **آليات التجريد** وتتضمن: (الاختزال ، التناظر ، التمركز ، التوازن ، التدرج ، الهيمنة بمفرداتها الثانوية.
2. **آليات التمثيل** وتتضمن: الاستعارة لكل من صورة الذات المتأصلة ، صورة الكل ، صورة الجوهر ، صورة الأجزاء ، صورة الجزء.
3. **المعنى المجرد والمجسد** ويتضمن: المعنى الذاتي المتأصل ، الكلّي ، الجوهري.
4. **خصائص ميدان الانتماء لكل من الشكل المجرد والمعنى المجسد** ويتضمن: الخصائص الملموسة ، المحسوسة ، غير الملموسة وغير المحسوسة.
5. **التحديدان الزماني والمكاني لميدان الانتماء لكل من الشكل المجرد والمعنى المجسد** ويتضمن: المحددين زمانياً ومكانياً ، غير المحددين زمانيا ومكانيا.
6. **المحور التجريدي** ويتضمن: المحور الكامن ، المحور الأفقي ، المحور العمودي.
7. **التنوع ضمن الوحدة الكلية**: تتناسب طبيعة آليات التجريد والتمثيل مع نوع المستوى العام للعمل التجريدي (مستوى الجزء ، الأجزاء ، الكل).

كما ستُعتمد المفردات السابقة في كل مستوى من مستويات العمل التجريدي العام ، (مخطط رقم 1) ، وتم قياس تلك المفردات من خلال الاستمارة (رقم 1 و 2).

1.2. العينات

إن النماذج المعمارية المنتخبة غير خاضعة لتحديدات وظيفية أو ظرفية معينة للزمان والمكان لأسباب ترتبط بطبيعة فرضية البحث إذ أن التنوع الطرازي الشكلي في مختلف الأمكنة والأزمنة يجمعه نمط شكلي موحد ، لذلك تم تحديد النماذج المعمارية الإسلامية[8] (جدول رقم 1) وفق الآتي:

1. مسجد المتوكل (848-852) سامراء .
2. رباط سوسة (821) سوسة Sussa.
3. مسجد القيروان (817-838) القيروان .
4. مسجد الأزهر (1131-1149) القاهرة .
5. مسجد بايبارز.(1267-1269) القاهرة.
6. مدرسة يوليك بك (Madrasa of Ulugh Beg) (1417-1420) سمرقند.
7. مدرسة خاركرد (Madrasa of Khargird) الجياثية (Ghiyathiya) (1438-1445).
8. مسجد الحكيم (991-1013) القاهرة .
9. المدرسة المستنصرية (1233) بغداد.
10. مدرسة كوك (Madrasa of Cok) (1271) سيفاس (Sivas).

3. الاستنتاجات

1.3. مستوى الجزء

سيتم طرح الاستنتاجات من خلال المحاور الآتية:

1.1.3. أثر المعالجات التجريدية الإسلامية على الأشكال الهندسية بالعلاقة مع تجسيد المعاني المطلوبة:

تضمن الشكل الهندسي الأساس في معظم الأحيان ، منظومة زخرفية أو شكلية يحتويها لتحقيق رؤية صورة المنظومة الكلية في الجزء والانتقال في المعنى من حالة جزئية إلى حالة كلية ، أكثر من التركيز على جمالية الشكل الذاتية المتأصلة فيه التي تتحقق عند بقاء الشكل الهندسي بهيئته النقية المجردة (المختزلة) ، إذ أن تلك المعاني لا تخدم الأهداف الإسلامية حيث يكون اتجاه المحور التجريدي في الأولى أفقياً باتجاه الكل في حين يكون اتجاه المحور التجريدي في الثانية كامناً لا يخرج عن نطاق الشكل. ولذلك نادرا ما وردت أشكال هندسية أساسية مختزلة إلى هيئتها النقية خالية من الزخرفة ، ويعد ذلك أحد أسباب وجود الزخرفة التي تتخلل الأشكال الهندسية الأساسية ، (جدول رقم 2).

إذا وُجد الشكل الهندسي المحَور بشكل مجرد فأنه سوف يجسد معانٍ ترتبط بالجوهر. أما في حالة وجوده متضمنا زخرفة أو منظومة شكلية فانه سوف يجسد معانٍ كلية (صورة الكل في الجزء ليحقق الانتقال من حالة جزئية إلى حالة كلية) ، وفي الحالتين كلتيهما يتحقق هدف التجريد في العمارة الإسلامية في الانتقال من حالة جزئية إلى كلية فضلاً عن تجسيد صورة الجوهر في الجزء ، إذ أن اتجاه المحور التجريدي للأولى (أفقي) وللثانية (عمودي). وهذا ما جعل المعماريون المسلمون يميلون إلى اختزال الشكل الهندسي الأساس إلى الهندسي المحَور ، وإلى إدخال المنظومات الزخرفية ضمن الأشكال الهندسية بشكل عام.

لما كان هدف المعماريين المسلمين من التجريد هو التوحيد للمعاني التي يجسدها مستوى الجزء من المعنى الذاتي المتأصل بالشكل إلى المعنى الكلي (المرتبط بالنظام الكلي) ، وإلى المعنى الجوهري الذي يرتبط بالنظم الكونية للخالق I ، ومن ثم نقل المحور التجريدي من كونه محور كامن في الشكل إلى محور أفقي خارج باتجاه النظام الكلي ثم إلى محور عمودي باتجاه الجوهر ، فإن التوحيد (على مستوى الجزء) لم يعكس المعاني الجوهرية والكلية بالقدر المطلوب ، بل برزت المعاني الذاتية المتأصلة في الشكل الهندسي الأساس بالقدر الأكبر على مستوى الجزء ، ومن ثم تليها المعاني المرتبطة بصورة الكل في الجزء التي يجسدها الشكل الهندسي الأساسي نفسه ، وثم تليه المعاني الكلية لصورة الكل في الجزء التي يجسدها الشكل الهندسي المحَور وأخيرا تأتي المعاني الجوهرية التي ترتبط بصورة الجوهر في الجزء التي يجسدها الشكل المحَور نفسه ، إذ تحققت هذه المعاني بأقل مرتبة حيث أن الشكل الهندسي الأخير هو الذي يحقق التوحيد ، كما تكمن المشكلة الرئيسة في أن النسبة التي وجد فيها الشكل الهندسي الأساس تفوق النسبة التي وجد فيها الشكل الهندسي المحَور من خلال الأنماط المعمارية الإسلامية من على مستوى الجزء ، لذلك التجأ المعماريون المسلمون إلى توحيد مستوى الجزء مع المستويات الجزئية الأخرى على وفق آليات تجريدية جديدة ، مما يؤهلها إلى تجسيد معانٍ جديدة تحقق ذلك الهدف التوحيدي المشار إليه في أعلاه من خلال الانتقال التوحيدي من مستوى الجزء إلى مستوى الأجزاء الذي سنتطرق إليه فيما بعد.

2.1.3. المعنى والمستوى الشكلي الخاص لكل من التجريد والتمثيل :

يكون مستوى توحيد المعنى (مستوى التمثيل) للشكل الهندسي الأساس مزدوجاً ، أي أن المعاني لا تتجسد في مستوى توحيدي منفرد ، وهذا ما جعل التوحيد للمعاني المجسدة ضعيفاً. لذلك لجأ المعماريون المسلمون إلى معالجة الشكل الهندسي الأساس باختزاله إلى هندسي محَور. في حين أن للشكل الهندسي المحَور معانٍ شبه متجانسة تتجسد في مستوى تمثيل منفرد (مستوى توحيدي قوي). ويعد ذلك من جملة الأسباب التي جعلت المعماريين المسلمين يستخدمون التجريد لاختزال الشكل الهندسي الأساس إلى هندسي محَور ، كما أن تلك الأسباب جعلتهم يستخدمون الشكل الهندسي الأساس بشكل يقتصر على نطاق الأنماط الفضائية التنظيمية (على مستوى المخطط الكلي) ، أكثر من استخدامهم له بهيئته النقية على مستوى الجزء. إلا أن النتائج تشير لصالح الشكل الأساس إذ أن المراتب المذكورة التي حققها الشكل الهندسي الأساس ضمن هذا المحور ، تفوق بشكل كبير المراتب التي تحققت بوساطة الشكل المحور ، كما أن وجود الشكل الهندسي الأساس قد تحقق بشكل أكبر من الشكل المحَور في الأنماط المعمارية الإسلامية ، وبذلك يمكن القول بأن عملية التوحيد للمعاني في مستوى تمثيل واحد كانت تميل إلى الضعف أكثر من ميلها إلى القوة من خلال مستوى الجزء ، (جدول رقم 4).

3.1.3. خصائص ميدان الانتماء للشكل المجرد والمعنى المجسد :

لجأ المعماريون المسلمون إلى معالجات وأساليب تجريدية بآليات متنوعة ، لتكوين فاصل بين الشكل المجرد (الدال) وبين المعنى المجسد (المدلول) من حيث خصائص ميدان الانتماء ، أو بعبارة أخرى إبعاد ميدان المدلول عن ميدان الدال الملموس المرتبط بالماديات والكامن في الشكل الهندسي لان الغاية المتأملة في خصائص ميدان المدلول هو الوصول إلى (المحسوس) وهو النظام الكلي ، و(غير الملموس وغير المحسوس) وهو خصائص ميدان النظم الجوهرية ، (مخطط رقم 2).

إلا أن ذلك الهدف تحقق بمرتبة قليلة ، على الرغم من تلك المعالجات التجريدية التي أوردها المعماريون المسلمون بمستوى الجزء على الشكل الهندسي الأساس والمحَور ، إذ بقي الحاصل النهائي لمستوى الجزء فقيراً بتحقيق ذلك الهدف ، إذ أن النتائج السابقة كانت لصالح الشكل الأساس النقي الذي يبقي المعنى المجسد ضمن النطاق الملموس الذي تحقق بمرتبة أعلى ، كما أن نسبة وجود الشكل الهندسي الأساس الذي يحقق ذلك في الأنماط المعمارية هي نسبة كبيرة ، في حين أن المعالجات التجريدية على الشكل الهندسي المحَور التي تُحقق الهدف المطلوب تحققت بأقل مرتبة ، كما أن نسبة وجوده قليلة أيضا بمستوى الجزء ، لذلك لجأ المعماريون المسلمون إلى معالجة هذه المشكلة عبر آليات تجريدية جديدة لتحقيق التوحيد التي من خلالها تنتقل المعالجات التجريدية وآليات التمثيل لتجسيد المعاني من مستوى الجزء (الشكل المجرد) إلى مستوى الأجزاء (منظومة شكلية مجردة) ، ومن ثم مستوى الكل (النظام الكلي المجرد) لتحقيق الانتقال في خصائص ميدان الانتماء للمعنى المجسد من الملموس المادي إلى الكلي المحسوس إلى الجوهري غير الملموس والمحسوس.

4.1.3. التحديدان الزماني والمكاني لميدان الانتماء لكل من الشكل المجرد والمعنى المجسد.

لجأ المعماريون المسلمون إلى معالجات وأساليب تجريدية بآليات متنوعة لنقل طبيعة الميدان للمعنى المجسد من المحدد زمانيا ومكانيا ، والتي ترتبط بالخصائص المادية للشكل المجرد إلى اللامحددين المرتبط بالخصائص الجوهرية للمعنى المراد تجسيده. إلا أن ذلك الهدف تحقق بمرتبة قليلة ، على الرغم من تلك المعالجات التجريدية التي أوردها المعماريون المسلمون بمستوى الجزء على الشكل الهندسي الأساس باختزاله إلى الهندسي المحَور الذي يحقق الهدف ، إذ أن وجود الشكل الأساس قد تحقق بشكل أكبر من الشكل المحَور في الأنماط المعمارية الإسلامية المنتخبة لذلك بقي الشكل المجرد (الدال) والمعنى المجسد (المدلول) ضمن التحديدين الزماني والمكاني نفسيهما على الرغم من اختلاف طبيعة المعاني المجسدة بفعل تنوع آليات التجريد والتمثيل وتغير اتجاه المحور التجريدي ووسيلة الإدراك لكل من الدال والمدلول. لذلك بقيت النتائج على مستوى الجزء فقيرة في تحقيق تلك النواحي والأهداف ، مما دفع المعماريون المسلمون إلى معالجة هذه المشكلة عن طريق آليات تجريدية جديدة تهدف إلى توحيد مستوى الجزء إلى مستوى الأجزاء ومن ثم إلى مستوى الكل ، (مخطط رقم 3).

5.1.3. التنوع ضمن الوحدة الكلية :

لا يؤدي التنوع في المعالجات التجريدية الإسلامية على مستوى الجزء إلى تحقيق الوحدة من خلال مفردات التمثيل لتجسيد المعاني التوحيدية ، إذ أن هنالك تنوعاً كبيراً في مفردات التجريد ضمن تنوع في مفردات التمثيل ، ولما كان الهدف الرئيس هو الوصول إلى التنوع ضمن الوحدة الكلية ، كان لابد من الانتقال إلى مستوى الأجزاء لمعالجة هذه المشكلة ، (جدول رقم 5).

2.3. مستوى الأجزاء:

سيتم طرح الاستنتاجات من خلال المحاور الآتية:

1.2.3. أثر المعالجات التجريدية الإسلامية على الأشكال المعمارية بالعلاقة مع تجسيد المعاني المطلوبة :

حرص المعماريون المسلمون من خلال المعالجات التجريدية على مستوى الأجزاء إلى تجريد المعاني الذاتية المتأصلة في الشكل التي تخلفت من مستوى الجزء لتجسيد المعاني المرتبطة بالنظام الكلي ، ومن ثم المعاني التي ترتبط بالنظم الكونية الجوهرية ، إذ تبين النتائج السابقة بأن المراتب التي تحققت فيها المعاني المجسدة (صورة الكل أو النظام الكلي في منظومة الأجزاء البسيطة) تعتمد على نوع الشكل الهندسي الذي تتناوله آلية التجريد التحديد والاحتواء ، فقد وجدت المعاني الكلية المتحققة بوساطة الشكل الهندسي الأساس الذي يتضمن منظومة شكلية بمرتبة أكبر. بينما تحققت المعاني الكلية المتحققة بواسطة الشكل الهندسي المحَور الذي يتضمن منظومة شكلية بمرتبة أقل ، ويرجع سبب هذا الاختلاف إلى حرص المعماريين المسلمين على معالجة الشكل الأساس النقي تجريديا بوساطة آلية التحديد والاحتواء لكي يجسد معاني كلية ، لأنه إن ترك بدون معالجة تجريدية وبهيئته النقية المختزلة فسوف يجسد معاني ذاتية متأصلة ، إذ لا يتفق هذا النوع من المعاني مع الأهداف التي أراد تحقيقها المعماريون المسلمون ، أما الشكل الهندسي المحَور فإنه إن ترك بهيئته المختزلة فسيجسد معانٍ جوهرية ، أما عندما يُعالج الشكل تجريديا بواسطة آلية التحديد والاحتواء فأنه سيجسد معاني كلية ، والحالتين كلتيهما تتفق مع الأهداف المطلوبة ، (جدول رقم 3).

تظهر آلية تجريدية أخرى كالتناظر التي تهدف أيضا إلى تحقيق معانٍ كلية ، كنتيجة للعلاقات الشكلية التي حققتها آلية التحديد والاحتواء ضمن منظومة الأجزاء. فبالنسبة لآلية التناظر ، فقد تحقق فيها التناظر المحوري فقط ولم يتحقق التناظر الدوراني على مستوى الأجزاء ، لأن هدف المسلمين هو التأكيد على المركز المحوري للواجهة بما له من اعتبارات رمزية من خلال خلق محور تجريدي أفقي باتجاه المحراب ، وهو المركز المحوري على مستوى الكل (النظام الكلي) ، ومن ثم تتحقق استعارة صورة الكل من خلال منظومة الأجزاء وهو معنى يرجى تحقيقه.

وتظهر آلية تجريدية أخرى كالتوازن (المستقر بين المتناظرات) التي تهدف إلى تحقيق معانٍ كلية أيضاً كنتيجةً للعلاقات الشكلية التي حققتها آليتا التحديد والاحتواء والتناظر المحوري مع بعضهما البعض ضمن منظومة الأجزاء. يغيب على مستوى العمارة آلية التوازن المستمر بين المتغيرات (بين الشكل الطبيعي والهندسي) لعدم وجود عناصر معمارية إسلامية طبيعية إلا على المستوى المعماري التفصيلي ، كالتفاصيل الزخرفية والأرابسك ، ولم تتوفر على مستوى جزء مستقل بذاته أو أجزاء من الواجهة أو المخطط الكلي بأبعاده الثلاثة ، إذ ابتغى المسلمون استخدام الأشكال الهندسية بشكل متوازن فيما بينها (آلية التوازن المستمر بين الشكل الأساس والمحَور) ، لارتباط الأشكال الهندسية بمفهوم النظام الهندسي ، الذي يعبر عن الأنظمة المطلقة (النظم الجوهرية) التي ابتغى المعماريون المسلمون تجسيدها من خلال المنظومات الهندسية على مستوى الأجزاء ، لذلك نلاحظ أن آلية التوازن بشكلها العام تمهد الطريق لآلية التمركز المحوري حول الوسط التي تهدف إلى تجسيد معانٍ جوهرية من خلال تلك الأنظمة الهندسية التي تشير إلى مركزها بوضوح بهدف استعارة صورة الأنظمة الجوهرية المطلقة بوساطة آلية التمثيل من خلال منظومة الأجزاء. إذ تساعد آلية التوازن بين الشكل الثابت والديناميكي ، على تحقيق الربط الفعال بين آليتي التجريد والتمثيل من خلال ربط الأشكال الهندسية والمعمارية ضمن منظومة الأجزاء التي تتسم بكونها أشكالا ومنظومات أرضية ثابتة مع تلك الأنظمة الكونية الديناميكية والجوهرية المطلقة ومن ثم يتجسد المعنى الجوهري الذي يشير إلى النظم الكونية المطلقة والمتمركزة حول جوهرها (نظام خالقها Ψ).

يتحقق آلية التوازن الديناميكي بين اللامتناظرات بأقل نسبة ممكنة في الأنماط المعمارية الإسلامية ، لأنه على الرغم من إشادة التوازن في تجسيد المعاني الكلية ، إلا أنه لا يحقق الهدف الآخر في الإسهام بالتمهيد للآليات الأخرى التي من شأنها أن تنتقل المعنى المجسد من الكلي إلى الجوهري (كآلية التمركز حول الوسط) لان هذا النوع من التوازن يفتقر إلى التناظر ومن ثم أنه يفتقر إلى التمركز ، إذ يسهم التناظر كما لاحظنا مع غيره من الآليات الأخرى في إبراز آلية (التمركز حول الوسط) لنقل المعنى المجسد من المعنى الكلي إلى الجوهري ، حيث يرتبط المعنى الجوهري بالنظم الكونية التي تشير إلى جوهرها (مركزها) لذلك لم يهتم المعماري المسلم بهكذا نوع من التوازن بشكل كبير ، وإن وجد فانه يقتصر على تجسيد المعاني الكلية فحسب. وبذلك تشكل الآليات التجريدية السابقة (التحديد والاحتواء ، التناظر ، التوازن) تسلسلا مدروسا لتجمع الأجزاء ضمن وحدة متدرجة تبدأ من الجزئي (الأطراف) وينتهي بالمركز المحوري المهم والرئيس ، حيث تمهد الطريق لعمل الآلية التجريدية (التدرج من الجزئي والثانوي إلى الرئيس والمركزي) لتنقل المعنى المجسد من الذاتي الجزئي إلى الكلي ، فضلاً عن التأكيد بشكل واضح على المركز ، ومن ثم تمهد لآليتين لاحقتين من شأنهما أن تنقلان المعنى من الكلي إلى الجوهري وهما (آليتي التمركز حول الوسط ، الهيمنة).

وتعبّر آلية (التمركز المحوري حول الوسط) عن مدى الاهتمام الكبير بالمركز المحوري للواجهة من خلال كون كل الآليات السابقة تؤدي إليها بل أن المعماريين المسلمين لم يكتفوا بتلك الآلية التجريدية بل أضافوا إليها آلية جديدة لتدعم كل تلك الآليات التجريدية السابقة وهي (آلية الهيمنة) لهذا الجزء المحوري والمركزي ضمن منظومة الأجزاء (منظومة الواجهة) ، ومن ثم يتمهد الطريق بصورة واضحة لآلية التمثيل (آلية تجسيد المعنى) وهي الاستعارة لصورة الجوهر في منظومة الأجزاء.

2.2.3. المعنى والمستوى الشكلي الخاص لكل من التجريد والتمثيل :

يتحقق بتأثير الآليات السابقة ، الفاصل بين المعنى المجرد (المعنى الكلي) ، المعنى المجسد (المعنى الجوهري) من حيث النوع ، في حين نلاحظ تجانس مستوى التجريد ومستوى التمثيل (التوحيد) في نوعيتهما المتمثلة بـ (مستوى الخصائص الأساسية). ويرجع سبب هذا الانسجام إلى أن لكل نظام في (نظر المسلمين) جوهراً كامناً فيه يشار إليه من قبل ذلك النظام من مثل (صورة الجوهر في منظومة الأجزاء البسيطة) ، أي أن المعنى الكلي يؤدي تلقائيا إلى المعنى الجوهري ، لذلك كان الفاصل النوعي بين المعنى المجرد (الكلي) والمعنى المجسد (الجوهري) ليس كبيرا ، وهذا ما جعل مستويي التجريد والتوحيد يشتركان في الخصائص نفسها هي (مستوى الخصائص الأساسية).

إذ تختلف تلك العلاقة عن علاقة المعنى الذاتي مع المعنى الكلي ، لأن الأول لا يؤدي إلى الثاني مباشرة ، لكون مستوى تجريد المعنى الذاتي هو مستوى الخصائص الظاهرية ، في حين يكون مستوى التمثيل أو التوحيد للمعنى الكلي هو مستوى الخصائص الأساسية ، أي وجود فاصل بنوع المستوى ونوع المعنى.

وبشكل عام فقد حققت الآليات التجريدية على مستوى الأجزاء ، الانتقال في المعنى المجسد من الذاتي المتأصل إلي الكلي ومن ثم إلي الجوهري ، وتلك هي الغاية الحقيقية التي ابتغاها المسلمون من خلال التجريد على منظومة الأجزاء في الواجهة. إلا أن المرتبة التي تحققت بها المعاني الجوهرية قليلة جدا مقارنةً مع المرتبة التي تحققت بها (المعاني الكلية) ، ولما كان سعي المعماريين المسلمين لإعلان (جوهر النظام) أو الانتقال إلى المعاني الجوهرية من خلال الأنظمة الكلية (أكثر من الإشارة إلى النظام ذاته) ، إذ نلاحظ أن المرتبة التي تحققت بها المعاني الجوهرية لا تفي بالغاية والغرض المطلوبين على مستوى الأجزاء. كما لم يُلحظ على مستوى الأجزاء أي تجسيد لمعنى ذاتي (أو صورة الجزء من خلال منظومة الأجزاء) ، بل كان التجريد للمعاني الذاتية صارما من خلال الانتقال من (الجزئي إلى الكلي) ، حيث كان هدف المعماريين المسلمين لا يتحدد برؤية صورة الأنظمة الجوهرية من خلال الكل فحسب ، وإنما رؤية صورة الجزء بوصفه عنصراً ذاتياً من خلال النظام الكلي أيضا ، وهذا ما نعنيه بان الكل لا يلغي من قيمة الجزء بل أنه يشير إليه من خلال إطار جديد. وتتطلب

معالجة تلك المشاكل على مستوى الأجزاء تجريداً آخر وتوحيداً للمعاني مرة أخرى وآليات جديدة لتحقيق الانتقال الحقيقي من المعنى الكلي إلى الجوهري (صورة الجوهر في الكل) ، (صورة الجزء في الكل) وهذا ما نأمل تحقيقه على مستوى الكل.

3.2.3. خصائص ميدان الانتماء للشكل المجرد والمعنى المجسد:

تظهر النتائج نجاح الآليات التجريدية في نقل خصائص ميدان الانتماء للشكل المجرد من ميدان الملموس إلى ميدان المعنى وهو المحسوس ، وبذلك تكون العلاقة بين الشكل المجرد (منظومة الأجزاء) ، والمعنى المجسد (صورة الكل) هي علاقة تجانس ، لكونهما معنيين بمفهوم النظام ، أي أن الشكل هو الذي يتبع المعنى وليس العكس كما كانت النتائج على مستوى الجزء ، كما نجحت الآليات التجريدية أيضا في نقل خصائص ميدان الانتماء للمعنى المجسد إلى غير الملموس وغير المحسوس الجوهري ، وبذلك تكون العلاقة بين الشكل المجرد (منظومة الأجزاء) ، والمعنى المجسد (صورة النظم الكونية الجوهرية التي ترجع لصانعها Ψ) هي علاقة عدم تجانس لكون خصائص المعنى يخرج عن نطاق خصائص الشكل الذي يعد أحد الأهداف التي أخذها التجريد على عاتقه من خلال الانتقال من مستوى الجزء إلى الأجزاء ، إلاّ أن المرتبة التي تحقق بها ذلك الهدف تعد قليلة جدا مقارنةً مع الانتقال الإيجابي لخصائص ميدان الانتماء للمعنى من الملموس (على مستوى الجزء) إلى المحسوس (على مستوى الأجزاء) التي تحققت بأعلى مرتبة ، لذلك لابد من الانتقال إلى مستوى الكل لمعالجة تلك المشكلة ، (مخطط رقم 4).

4.2.3. التحديدان الزماني والمكاني لميدان الانتماء لكل من الشكل المجرد والمعنى المجسد:

لما كان سعي المعماري المسلم لنقل ميدان المعنى المجسد من المحدد زمانيا ومكانيا وهو النظام الكلي إلى غير المحدد زمانيا ومكانيا ، والذي يرتبط بخصائص ميدان النظم الجوهرية ، نلاحظ أن الآليات التجريدية على مستوى الأجزاء قد نجحت في تحقيق ذلك من خلال وجود عدم التجانس بين الشكل والمعنى من ناحية التحديد الزماني والمكاني لميدان الانتماء ، وذلك لخروج المعنى المجسد عن نطاق النظام الكلي إلى النطاق الجوهري لذلك النظام ، إذ لا يخضع ميدان انتماء جوهر النظام لتحديد زماني ومكاني معين ، بل يشار إليه من ذلك النظام ، بينما تحقق هذا الهدف بمرتبة قليلة قياسا إلى وجود التجانس التام بين الشكل المجرد والمعنى المجسد ، لأن كل من الشكل المجرد والمعنى المجسد ضمن منظومة الأجزاء معنيان (بالنظام) ، بينما يختص الشكل المجرد بالمنظومة البسيطة المكونة لمستوى الأجزاء ، و يرتبط المعنى بصورة النظام الكلي المجسد في ذلك الشكل ، أي أن لكل من الشكل المجرد والمعنى المجسد من خلاله ، معنيين بمفهوم النظام ، لذلك نلاحظ بقاء خصائص ميدان الانتماء للشكل والمعنى ضمن ميدان المحددين زمانيا ومكانيا ، (مخطط رقم 5). وبذلك نرى عجز منظومة الأجزاء عن تحقيق الهدف من سلسلة العمليات التجريد في نقل ميدان الانتماء للمعنى المجسد من المحدد إلى غير المحدد زمانيا ومكانيا ، لذلك لابد من الانتقال إلى مستوى الكل عبر آليات تجريدية جديدة لمعالجة تلك المشكلة.

5.2.3 المِحور التجريدي:

لما كان هدف المعماريين المسلمين من خلال استخدام التجريد إلى تحقيق انتقال في نوع المحور التجريدي من المحور الكامن إلى الأفقي إلى العمودي. إذ يرتبط المحور التجريدي الكامن بالمعاني الذاتية المتأصلة ، في حين يرتبط المحور الأفقي بالمعنى الكلي أما المحور العمودي فهو مرتبط بالمعنى الجوهري.

نلاحظ نجاحا واضحا على مستوى الأجزاء في نقل المحور التجريدي الكامن إلى المحور الأفقي الذي تحقق بمرتبة عالية ، إلا أن الانتقال في المحور التجريدي من الأفقي إلى العمودي قليل جدا ، (أي أن المحصلة النهائية ليست باتجاه المحور العمودي بل تركزت على المحور الأفقي) ولم تخدم الهدف المبتغى والمبين في أعلاه ، لذلك لابد من الانتقال إلى مستوى الكل لمعالجة تلك المشكلة.

6.2.3. التنوع ضمن الوحدة الكلية :

نلاحظ من خلال النتائج السابقة ، على مستوى الأجزاء ، وجود تنوع كبير إلى وحدة نسبية في المعالجات التجريدية الإسلامية يقابله تنوعاً كبيراً إلى وحدة نسبية أيضا في مفردات التمثيل لتجسيد المعاني المتنوعة نسبيا ، وليس هنالك تحقيقا واضحا للهدف الرئيس الذي ابتغاه المعماريون المسلمون وهو الوصول إلى التنوع ضمن الوحدة الكلية بشكل واضح ، لذلك لابد من الانتقال إلى مستوى الكل لمعالجة هذه المشكلة ، (جدول رقم 7).

3.3. مستوى الكل:

1.3.3. أثر المعالجات التجريدية الإسلامية على الأشكال الهندسية بالعلاقة مع تجسيد المعاني المطلوبة:

نجحت الآليات التجريدية السابقة من خلال مستوى الكل وهي: آلية التناظر الدوراني ، التمركز الدوراني حول الوسط ، في التأكيد على أهمية المركز الدوراني في المخططات الإسلامية ، وهنا تأتي آلية التوازن بين المتناظرات لتعمل على تحقيق نظام كلّي متوازن متدرجا بأجزائه نحو المركز بشكل واضح بوساطة آلية التدرج من الثانوي الجزئي إلى الرئيس المركزي ، كما نجحت آلية التوازن بين الشكل الثابت والديناميكي في تحقيق الموازنة الحقيقية بين الشكل العام للمخطط (المربع) ، وهو الشكل الأرضي الثابت مع الشكل (الدائري ، الديناميكي ، الكوني) ، وبذلك تشكل تلك الآليات تسلسلا مدروسا تقود بها تلك الأجزاء والأنظمة الثانوية نحو المركز ، إذ تأتي آلية الهيمنة للجزء المركزي لتعطي هيمنة واضحة لذلك المركز على النظام العام للمخطط الكلّي. وبذلك يتمهد الطريق لآلية التمثيل (الإستعارة لصورة النظم الكونية المتمركزة حول جوهرها) من خلال النظام المكون من الآليات التجريدية المتسلسلة. إذ تحقق الانتقال الحقيقي في المعنى إلى الجوهري ، بأعلى مرتبة على مستوى الكل ، وبذلك يتحقق هدف المعماريين المسلمين من خلال الانتقال (من مستوى

الجزء إلى الأجزاء فالكل) في نقل المعنى من الذاتي المتأصل إلى الكلي فالجوهري ، أي أن (صورة الجوهر في الكل أو النظام الكلي) تحققت باتجاه المعنى التوحيدي بأعلى مرتبة ، (جدول رقم 4).

وبذلك يمكننا أخيرا أن نستشف هدف المعماريين المسلمين من خلال تجريد المعنى المرتبط بالنظام الكلي على وفق آليات تجريدية متنوعة ، على النظم المعمارية المادية الزائلة الذي هو تحقيق المعنى الجوهري الذي ينقلنا إلى تجسيد صورة النظم الكونية التي تفصح عن صفات خالقها Ψ وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة: (... **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**...) (البقرة:255) ، **(قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيم)** (المؤمنون:86) ، (**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**...) (فاطر:1) ، **(لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسبَحُونَ)** (يس: 40).

نجحت الآليات التجريدية السابقة من خلال مستوى الكل وهي آلية التناظر المحوري ، التمركز المحوري في التأكيد على أهمية المركز المحوري في المخططات الإسلامية تأكيدا على عنصر المحراب بوصفه قبلةً محوريةً للمخطط للرجوع والانتقال العكسي في المعنى إلى (رؤية صورة منظومة الأجزاء من خلال الكل) الذي تحقق بفعل تلك الآليات التجريدية من خلال مستوى الكل لتجريد المعنى الجوهري لتجسيد صورة منظومة الأجزاء بواسطة آلية التمثيل (الاستعارة). إلاّ أن هذا الرجوع والانتقال العكسي في المعنى قد تحقق بمرتبة اقل مقارنةً مع الانتقال الإيجابي الأول نحو المعنى الجوهري لكي لا ينافس حضور المعنى الجوهري والتوحيدي المجسد.

لقد نجحت الآلية التجريدية السابقة من خلال مستوى الكل وهي آلية التحديد والاحتواء لشكل أساسي يتضمن منظومة شكلية ، في التأكيد على أهمية الشكل بذاته المنفردة الذي يعد العنصر الأولي المولّد للمنظومة الكلية للرجوع والانتقال العكسي في المعنى إلى (رؤية صورة الجزء من خلال الكل) الذي تحقق بفعل تلك الآلية التجريدية من خلال مستوى الكل لتجريد المعنى الجوهري لتجسيد صورة الجزء بذاته المتأصلة ، بوساطة آلية التمثيل (الاستعارة).

إلاّ أن هذا الرجوع والانتقال العكسي في المعنى قد تحقق بمرتبة قليلة مقارنةً مع الانتقال الإيجابي الأول نحو المعنى الجوهري ، لكي لا تنافس حضور المعنى الجوهري المجسد المرتبط بفكرة التوحيد.

بشكل عام ، فإن سعي المعماريين المسلمين بعد تحقيق ذلك المعنى الجوهري التوحيدي ، هو الرجوع من خلاله إلى رؤية معانٍ أخرى جزئية ترتبط بالجزء والأجزاء ومن آليات تجريدية متنوعة ، إذ أن هذين المعنيين المتنوعين ترى صورتهما من خلال ذلك (المعنى التوحيدي الجوهري) على مستوى الكل أي تنوع بالمعنى والآليات ضمن المعنى التوحيدي. وهو الهدف المتحقق الذي ابتغاه المعماريون المسلمون من خلال كل مستويات التجريد من مستوى الجزء إلى الكل وهو ما نطلق عليه (بوحدة المعاني التعبيرية مع التنوع بالآليات التجريدية ضمنها ومع وجود تنوع بالمعاني تقع ضمن المعنى التوحيدي) الذي يمكن توضيحه من خلال الآية الكريمة:

(هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...) (حديد: 3).

إذ يمكن رؤية تحقيق المعنى الجوهري من خلال صيغة (حتى أحبه) ، أما بعد تحقيق هذا المعنى التوحيدي فيمكننا رؤية صورة الجزء من خلال صيغة (سمعه ، عينه ، رجله) وكذلك يمكن رؤية صورة الأجزاء من خلال صيغ الربط بين كل جزء (السمع مع العين مع الرجل) الموجودة ضمن سياق الحديث الشريف ، وهي تجلي صفات الخالق Ψ في تلك المخلوقات (الأجزاء).

2.3.3. المعنى والمستوى الشكلي الخاص لكل من التجريد والتمثيل :

نجد من خلال تحقيق (وحدة المعاني التعبيرية) أن كل من مستويي التجريد والتمثيل موحدان في مستوى الخصائص الأساسية للشكل (النظام الكلي للمبنى) ، لان التنوع في الآليات والمعاني تقع ضمن (المعنى التوحيدي الجوهري) الذي يكون مستوى تجريده وتمثيله (الخصائص الأساسية للنظام الكلي للمبنى).

3.3.3. خصائص ميدان الانتماء للشكل المجرد والمعنى المجسد :

تشير النتائج السابقة بأن الآليات التجريدية على مستوى الكل قد نجحت في الوصول إلى خصائص ميدان الانتماء للمعنى الجوهري ، وهي الخصائص غير الملموسة وغير المحسوسة المرتبطة بالنظم الكونية الجوهرية التي تدل على صانعها Ψ التي تكون متحققة بأعلى مرتبة إذ تكون العلاقة بين الشكل المجرد (النظام الكلّي) وبين المعنى المجسد ، هي علاقة عدم تجانس بخصائص ميدان الانتماء نتيجة لخروج خصائص المعنى المجسد عن نطاق خصائص الشكل المجرد المحسوس ، وهذا هو هدف المعماريين المسلمين في الانتقال عبر مستويات التجريد (مستوى الجزء فالأجزاء فالكل) ، أي أن الانتقال في خصائص ميدان المعنى من الملموس إلى المحسوس فاللامحسوس الجوهري قد تحققت بالنهاية على مستوى الكل بأعلى مرتبة ، (مخطط رقم 7) و(جدول رقم 9).

إلاّ أن غاية المعماريين المسلمين لم يقتصر على هذا الانتقال فحسب ، وإنما تحقيق الخصائص الأخرى للميدان المحسوس المرتبط بـ (منظومة الأجزاء) ، وبذلك تكون العلاقة بين الشكل المجرد (النظام الكلي) والمعنى المجسد (صورة منظومة الأجزاء) هي علاقة تجانس ، لكونهما معنيّين بمفهوم النظام. وسعى المعماريون المسلمون إلى تحقيق الخصائص الملموسة المرتبطة بـ (عنصر الجزء) وبذلك تكون العلاقة بين الشكل المجرد (النظام الكلي) والمعنى المجسد (صورة عنصر الجزء) هي علاقة عدم تجانس لأن المعنى يرتبط بذاتية العنصر. وقد تحققت الخصائص في الانتقالين الأخيرين على مستوى الكل بمرتبة قليلة لا ينافس بها الانتقال الأول الرئيس.

4.3.3. التحديدان الزماني والمكاني لميدان الانتماء لكل من الشكل المجرد والمعنى المجسد:

تظهر النتائج السابقة بأن الآليات التجريدية على مستوى الكل قد نجحت في تحقيق الانتقال في التحديدين الزماني والمكاني لميدان الانتماء للمعنى المجسد من المحددين إلى غير المحددين زمانيا ومكانيا التي تحققت بأعلى مرتبة ، ويرجع سبب عدم التجانس بين الشكل المجرد والمعنى المجسد (النظم الكونية الجوهرية التي ترجع لصانعها Ψ) بما يتعلق بالتحديدين الزماني والمكاني لميدان الانتماء ، إلى أن (المعنى الجوهري) يخرج عن نطاق الشكل المجرد الذي يكون ميدان الانتماء له محدد الزمان والمكان ، في حين أن المعنى الجوهري غير خاضع ميدان الانتماء له لتحديد زماني أو مكاني معين ، (مخطط رقم 6).

إلاّ أن سعي المعماريين المسلمين لم يقتصر على الانتقال في ميدان الانتماء من المحدد إلى غير المحدد زمانيا ومكانيا فحسب ، وإنما الرجوع إلى ميدان المحددين المرتبط (بمنظومة الأجزاء) وصورتها من خلال النظام الكلي (المحددين زمانيا ومكانيا) أيضا ، وبذلك يرجع سبب التجانس بين الشكل المجرد والمعنى المجسد من ناحية التحديدين الزماني والمكاني لميدان الانتماء إلى أن المعنى المرتبط (بصورة منظومة الأجزاء) يبقى ضمن نطاق الشكل المجرد (النظام الكلي للمبنى) أي أن المعنى يبقى ضمن نطاق الشكل المعنيان كلاهما بالنظام ولم يخرج المعنى إلى نطاق أخر ، إذ تحقق هذا الانتقال بمرتبة أقل لا تنافس بها الانتقال الأساسي الأول.

كما أن غاية المعماريين المسلمين من خلال مستوى الكل ، هو الرجوع إلى الميدان المرتبط بـ (عنصر الجزء) وصورته من خلال النظام الكلي (المحددين زمانيا ومكانيا) أيضا ، وبذلك يرجع سبب عدم التجانس بين الشكل المجرد والمعنى المجسد من ناحية التحديد الزماني والمكاني لميدان الانتماء ، إلى أن المعنى المرتبط بـ (صورة الجزء) يخرج عن نطاق الشكل المجرد (النظام الكلي للمبنى) إذ أن المعنى يرتبط بذاتية العنصر (الشكل) في حين أن الشكل المجرد هو النظام الكلي للمبنى. وتحقق هذا الانتقال بمرتبة أقل لا ينافس بها الانتقال الأساس الأول.

5.3.3. المِحور التجريدي:

لما كان هدف المعماريين المسلمين من خلال استخدام التجريد في تحقيق انتقاله في نوع المحور التجريدي من : المحور الكامن إلى الأفقي إلى العمودي ، إذ يرتبط المحور التجريدي الكامن بالمعاني الذاتية المتأصلة ، في حين يرتبط المحور الأفقي بالمعنى الكلي أما المحور العمودي فهو مرتبط بالمعنى الجوهري. نلاحظ نجاحا واضحا ، على مستوى الكل ، في نقل المحور التجريدي إلى المحور العمودي المتحقق بأعلى مرتبة على مستوى النظام الكلي بما يحمله من معاني جوهرية مرتبطة بـ (جوهر النظم الكونية) وأيضا نلاحظ عدم التحقير أو التقليل من قيمة الأجزاء والجزء ، اللذين يدخلان في تكوين ذلك النظام الكلي ، لذلك نلاحظ رجوع المحور التجريدي من العمودي إلى الأفقي المرتبط بـ (صورة الأجزاء) ثم إلى المحور الكامن المرتبط بـ (صورة الجزء) إلا انهما تحققا بمرتبة اقل بحيث لا تؤثر أو تنافس تحقق (المحور العمودي المرتبط بالجوهر ، (جدول رقم 8).

6.3.3. التنوع ضمن الوحدة الكلية :

يتبين من خلال النتائج السابقة ، على مستوى الكل ، ما يأتي:

أولاً: التنوع الكبير في الآليات التجريدية الإسلامية يقابله وحدة في آلية التمثيل ، أي (التنوع الكبير في المعالجات التجريدية ضمن الوحدة الكلية) باتجاه تجسيد المعنى التوحيدي الجوهري ، ومن ثم تتحقق (وحدة المعاني التعبيرية المجسدة) التي تحققت على مستوى الكل بأعلى مرتبة.

وثانياً: التنوع بالمعنى ضمن المعنى التوحيدي الجوهري السابق من خلال آليات تجريدية متنوعة على ذلك المعنى الجوهري لتحقيق الاستعارة لصورة منظومة الأجزاء ، صورة عنصر الجزء من خلال المعنى الجوهري على مستوى الكل بوساطة آلية التمثيل ، وهذا ما نسميه تنوعاً بالمعنى يقع ضمن المعنى التوحيدي الجوهري فلولا أن المعنى التوحيدي الجوهري قد تحقق ، لما أمكن رؤية تلك المعاني المتنوعة ضمنه التي تمثلت بـ (المعاني الكلية المرتبطة بالأجزاء ، والمعاني الذاتية المرتبطة بالجزء) ، علما بان تلك المعاني تحققت بمرتبة قليلة بحيث لا تنافس ذلك المعنى التوحيدي الرئيس.

4. خلاصة عامة

استخدمت العمارة الإسلامية التجريد ستراتيجيةً لمعالجة الأشكال والمنظومات الهندسية المعمارية لخدمة الأهداف الرمزية ، إذ أدت تلك المعالجات التجريدية المتنوعة على الأنماط المعمارية الإسلامية إلى وحدة المعاني التعبيرية بوصفها مدلولاتٍ رمزيةٍ منبعثةً من تلك الأشكال الفيزيائية المجردة ، أي أن تلك المعالجات التجريدية جعلت الأنماط المعمارية الإسلامية موحدة على الرغم من وجود التنوع في الطرز المعمارية التي تتبع خصوصية العوامل المحلية ، فضلاً عن أداء تلك الأنماط في التنوع بالوظائف ،حيث عمدت الدراسة العملية انتخاب نماذج معمارية مختلفة الزمان والمكان والأداء الوظيفي ، لتبرز فيها وحدة النمط (التنوع في الطرز المعمارية ضمن وحدة النمط) ، وفي ذلك إثبات لصحة الفرضية العامة للبحث. أما إستخدام المعماريون المسلمون التنوع في المعالجات التجريدية تجاه تلك الأنماط المعمارية الموحدة التي تندرج ضمن وحدة المعاني التعبيرية ، فهي تعد إثباتاً لصحةالفرضية الخاصة للبحث بشكل عام.

المصادر:

1. هوكز ، ترنس " **البنيوية وعلم الإشارة** " : ترجمة مجيد الماشطة : دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ، بغداد / العراق (1986). ص113،34.
2. إبراهيم ، عبد الباقي ، " **المنهاج الإسلامي لنظرية التصميم الحضري** " ، منظمة العواصم

والمدن الإسلامية ، الطبعة الأولى ، الرباط / المغرب العربي (1992).

3. الصايغ ، **سمير " الفن الإسلامي ـ قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية "** ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، بيروت / لبنان (1988).
4. خليل ، عماد الدين ، **" الفن والعقيدة "** ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، بيروت / لبنان (1990).

5. Ungers, Oswald, Mathias, " The New Abstraction ", in Architectural Design, 55 No. 7 / 8. PP 36-37, (1983).
6. Schuls, Christian Norbery, " Existence Space and Architecture ", First in Great Britain, (1971).P.28.
7. Prochazka, Amjad Bohumill, (c) " Introduction to Islamic Architecture ", Architecture for Islam cultured sphere MARP Muslim Architecture Research Program, (1986).P.23.
8. Hoag, John, D. Abrams, Harry, N., " History of World Architecture-Islamic Architecture ", Inc, (1975).pp.50,56,138,141,219,236,265.